المحور الثالث: فداء المسيح ، عقيدة الفداء
في المسيحية و الاسلام .

لابد ، في هذا الموقع الثالث ، من رجعة جديدة إلى محتوى " شرعة الإيمان " المسيحي ، إلى الشهادة _ الميثاق : قانون الايمان النيقاوى ، لنرى ماذا يقول بهذا الشأن : شأن فداء المسيح الفادي _ سلامه علينا _ وما قدمه كفارة لبني آدم و البشر جميعا .
يقول قانون الايمان في جزئه ما قبلالاخير ما يلي :
"... الذي من أجلنا نحن البشر (أي يسوع ، عيسى أبن مريم).
ومن أجل خلاصنا ،
نزل من السماء ،
وتجسد من الروح القدس و من مريم العذراء ،
وصار أنسانا ،
وصلب عنا ،على عهد بيلاطس البنطي.
تألم ومات وقبر وقام في اليوم الثالث ، كما جاء في الكتب ، وصعد إلى السماء ،
وسيأتي بمجد عظيم ....." .

يستدل من هذه الفقرة الواضحة الشفافة ، أن هناك" عملية فداء عظمى" قام بها المسيح عيسى أبن مريم ، في سبيل خلاص الناس .
فما هي عملية الفداء هذه ؟
و ما هو فداء المسيح ، ياترى ؟ .

أولا _ فداء المسيح أو عقيدة الفداء في التعليم المسيحي :

يعلم الكتاب المقدس ، ومن ضمنه إنجيل المسيح _ سلامه علينا _ يعلمنا بأن معصية أبينا آدم _ أبو البشرية ، عليه السلام _ قد أدت إلى نتيجة خطيرة ، ألا وهي سقوط الانسان من فردوس _ عدن إلى الارض. فمخالفة آدم أبينا و أمنا حواء التي هي أم الناس و جميع البشر ، لوصية الخالق ، الديان _ سبحانه و تعالى _ ربهما ، ربنا نحن كلنا ورب العالمين _ كانت تكمن في عدم الطاعة ومخالفة نواهي الرحمان وممنوعاته .

ويخبرنا سفر التكوين وهو أول سفر في العهد القديم من الكتاب المقدس ، يخبرنا عن تلك الحادثة الخطيرة ، الحادية - الكارثة التي جرت بعد خلق أول زوجين على وجه الارض ، والتي كانت لها مضاعفات هامة أثرت على مصير الجنس البشري و تاريخه : ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

يقول سفر التكوين في فصله الثالث ، ما هو وارد أدناه :
" كانت الحية أمكر وحوش البرية التي صنعها الرب الاله .
فسالت المرأة : أحقا أمركما الله ألا تاكلا من جميع شجر الجنة ؟
فأجابت المرأة : يمكننا أن ناكل من ثمر الجنة كلها ، ماعدا ثمر الشجرة التي في وسطها (وهي شجرة ، معرفة الخير والشر).
فقد قال الله : لا تأكلا منها لكي لا تموتا .
فقالت الحية للمرأة : لن تموتا !
بل إن الله يعرف أنه حين تأكلان من ثمر هذه الشجرة ، تنفتح أعينكما فتصيران مثله (أي مثل الله) قادرين على التمييز بين الخير و الشر .
وعندما شاهدة المرأة أن الشجرة لذيذة المأكل و شهية للعيون و مثيرة للنظر .
قطفة من ثمرها و أكلت ، ثم أعطت ذوجها أيضا فأكل معها .
فانفتحت للحال أعينهما ، وأدركا إنهما عريانان ، فخاطا لنفسهما مآزر من أوراق التين.
ثم سمع الزوجان صوت الرب الإله بين شجر الجنة ....

فنادى الرد الاله آدم : أين أنت ؟
فأجاب : سمعت صوتك ... فاختبأت خشية منك لانني عريان !
فسأله من قال لك إنك عريان ؟
هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها ؟
فأجاب آدم : إنها المرأة التي جعلتها رفيقة لي . هي التي أطعمتني من ثمر الشجرة فأكلت .
فسأل الرب إلاله المرأة : ماذا فعلت ؟
فأجابت المرأة : أغوتني الحية فأكلت .
فقال الرب ألاله للحية :
لانك فعلت هذا ، ملعونة أنت من بين جميع البهائم ...."
(من العدد 1 ألى العدد 14 - اللاصحاح الثالث - سفر التكوين)
" ... ثم قال(الرب الاله) للمرأة : أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك ، فتنجبين بالآلام أولادا ...
وقال لآدم : لانك أذعنت لقول إمرأتك ، واكلت من الشجرة التي نهيتك عنها ، فالارض ملعونة بسببك .....
بعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الارض ، فمن التراب أخذت و إلى التراب تعود ".
" ثم قال الرب الاله : ها الانسان قد صار كواحد منا ، يميز بين الخير و الشر .
وقد يمد يده و يتناول من شجرة الحياة ، فيحيا إلى الابد .
فأخرجه من جنة عدن ليفلح الارض التي أخذ من ترابها ...
و هكاذا طرد الله الانسان من جنة عدن و أقام الملائكة الكروبيم وسيفا ناريا متقلبا شرقي الجنة لحراسة الطريق المفضية إلى شجرة الحياة ".
(الاصحاح الثالث _ من العدد 16 إلى العدد 24- سفر التكوين) .
هكذا ينبئنا كتاب العهد القديم الاول : سفر التكوين :
1 = كيفية دخول الخطيئة إلى العالم الانساني ، لدى أول زوجين بشرين .
2 = النتائج التي أسفرت عنها نلك الخطيئة - المعصية و النكبات التي أدت إليها .
3 = كيفية إستعمال الانسان لحريته التي وهبه أياها الخالق في مجال المخالفة و العصيان و الذنب ..

أ الخطية في المسيحية ، ما هي ؟

آن الله المكون، خلق الانسان في الأساس على صورته تعالى ومثاله، معرفة وبرا وقداسة، حريتا وخلودا.
ولقد أعطاه سلطانا لكي يتسلط على جميع مخلوقات الارض ، هذا مع قدرته وحريته المطلقة على الاختيار بين الشر والخير .
غير أن أبوينا الاولين، قررا عصيان أمر الله وقانونه الالهي، فارتكبا معصية ومخالفة ، بانحرافهما عن خط الخالق.
لقد أخطأ اذن أي ارتكبا خطية واثما:
1 = بالانحراف والنزوع آلي الشر : المخالفة!
2 = بالبعد والانفصال عن الخير : الانحراف عن خط الله!
الخطيئة في المسيحية هي التعدي على شريعة الله وقانونه،" من يذنب يكسر شريعة الله. لان الذنب (او الخطيئة) في الحقيقة هي كسر الشريعة ..."
(الكتاب المقدس- العهد الجديد- رسالة الحواري يوحنا الرسول الاولى - الاصحاح الثالث- العدد 4).
والخطيئة ، أيضا، هي نقيض الصلاح أو الخير." يا أولادي الاعزاء، لا تسمحوا لاحد آن يخدعكم ، من يعمل الصلاح هو صالح ، كما أن المسيح صالح. من يرتكب الذنب، ينتمي آلي ابليس ... "
(المرجع عينه - الفصل الثالث- العددان 7 و8)
يقول الحواري بولس، الرسول ، القديس في رسالته الشهيرة آلي المؤمنين من اهل مدينة روما :
"آن الخطيئة جاءت آلي العالم عن طريق انسان واحد (أي ابينا آدم) وجلبت (هذه) الخطيئة معها الموت. لهذا يموت كل الناس، لانهم أخطاؤا كلهم. فالخطيئة موجودة في العالم حتى من قبل شريعة موسى لكنها لم تكن تحسب ضد الناس كخطيئة لانه لم تكن هناك شريعة. ومع ذلك فمن زمن آدم آلي زمن موسى سيطر الموت على الناس حتى على الذين لم يخطئوبمخالفة وصية ما كما اخطا آدم ...
(الفصل الخامس من العدد 11 آلي العدد 14).
ويقول بولس ايضا في نفس المرجع :

"... فان كان الجنس البشري يموت نتيجة لخطيئة انسان واحد، فان نعمة الله اعظم بكثير لانها تعطي للجنس البشري بوفرة كهدية مجانية بواسطة انسان واحد هو عيسى المسيح ."
(الاصحاح الخامس - العدد 15)
آن حقائق علوم الحياة والاختبارات والتجارب تفيدنا وتكرس- في عالمنا هذا- حقيقة علمية هي :
أن الكائن الحي الذي هو من نوع وجنس احيائي معين لا يمكن له، حسب قوانين الوراثة والتناسل، أن يلد كائنا حيا مغايرا له أي من نوع يختلف عن نوعه . فالذئب لا يمكن له آن يلد خروفا والديك لم يستطيع آن ينجب حية ...
وينطبق هذا القانون الطبيعي على الجنس البشري وبني الانسان حتما.لذا يمكننا آن نؤكد مع علماء الفكر المسيحي آن ابناء آدم لايمكن لهم آن يلدوا سوى بشر مثلهم، ابناء بشر، لا ملائكة او طيور او بهائم او اسماك مثلا.
ولقد اخبرنا سفر التكوين، سابقا، وحسب ما ورد اعلاه آن آبا البشر- عليه السلام- فقد حياة الاستقامة والبر بعصيانه اوامر الله، فطرد بنتيجة ذلك، وقصاصا له، من الفردوس الطاهر الصافي آلي الارض التي لعنت بسبب اثمه ومعصتيه ومخالفته وخطيئته.
وكان آن انجب هو وحواء امنا، اولادا ونسلا وشعوبا.
وكان آن ورث هذا النسل الكبير اللعنة التي حلت على الابوين الاولين.
وكان آن فقد بنو البشر - نسل آدم- الميراث الفردوسي بسبب خطيئة الجدين الاكبرين : آدم وحواء.
يقول النبي داود في مزاميره (أي الزبور ، زبور داود)
" ها إني بالإثم قد ولدت وفي الخطيئة حبلت بي أمي ."
(المزمور رقم 51 العدد 5- العهد القديم- الكتاب المقدس.) .
ويقول بولس في رسالته إلى الؤمينين من أهالي مدينة روما :
" ليس إنسان بار ، ولا واحدا . ليس من يدرك ، ليس من يحث عن الله . جميع الناس قد ضلوا و صاروا كلهم بلا نفع ، ليس من يمارس الصلاح ، لا ولا واحد ... "
(الاصحاح 3 العدد 10 و 11) .

ب - الخطيئة طالت جميع أعضاء الجنس البشري .

لقد نتج عن خطيئة آدم - حسب ما يقول التعليم المسيحي - أن :
1= فقد آدم ونسله الصورة ألالهية فقدانا كليا .
2= فسدت طبيعته هو ، أبنؤه و نسله كلهم فسادا تاما، كاملا و نهائيا .
3= صار ميتا روحيا ، عاجزا عن فعل الخير الروحي و مضادا لهذا الخير .
4= قابلا للموت الجسدي هو وجميع الناس أولاده .
5= معرضا هو ونسله لجميع حالات السؤ ، من أمراض ومصائد ، وكوارث ... و حروب ... الخ ...
6= أصبح آدم - في النهاية - خاضعا لسلطان الموت الابدي ، هو وجميع أبناء البشر من بعده .
لقد حلت جميع تلك النتائج و المضاعفات السلبية على آدم ونسله ، بفعل إرتكابه للخطيئة . فالمعصية الادمية أدت إلى قيام نسل بشري فاسد ، يولد في حال الدينونة ، بعيدا و خال من صورة الله - جل وعلا - .

ج - ما هو الحل يا ترى ؟ الحل هو : فداء المسيح و كفارته .

رأينا كيف أن التعليم المسيحي أوضح لنا قضية الخطيئة ، المعصية و الاثم وكيف أن الرب ، الخالق ، الديان ، قام بتطبيق أحكام قانونه و وصيته على آدم و حواء ، فاقتص منهما - بحكم عدله و عدالته المثلى - عقابا لهما على ما إرتكباه من مخالفة جسيمة لنواهي السيد المولى ، خالق الكون و الوجود .
لقد قضى الرب العادل و أمر :
1= بطرد آدم و زوجته من جنة عدن الوارفة ، الفردوسية .
2 = باخضعهما لقانون الحياة الارضية مع ما فيها من عذاب و قهر و صعوبات و مصائد و موت . ذلك القانون الارضي الشاق الذي أصبح أيضا وبحكم الوراثة ساري المفعول على نسلهما ، كل نسلهما ، حتى قيام الساعة .
لم يعتد الرب الإله على آدم إذا ، إنما قام باجباره على دفع " ثمن أو أجرة " خطيئته و عصيانه . لقد حوله إلى مخلوق مائت و أخضعه لشرعة الألم ، العذاب و الموت.
ولكن ! صحيح أن الله عادل ، بل هو تمام العدل و كماله و بهائه ، وهو بفعل عدله المطلق ، معاقب ،محاسب ، ديان.

لقد حمل آدم وحواء ونسلهما نتيجة و ثمرة ذنبهما و المعصية ! غير أنه علينا أن لاننسى أيضا ، أن الله محبة ، فهو محب رحيم ، بل هو تمام المحبة و الرحمة بكامل بهائهما . إنه أرحم الراحمين و أحب المحبين . محبته مطلقة خارقة ، تماما كرحمته و عدله الذين هما قمة ما يمكن أن يكون في هذين المجالين الهامين من صفات الله تعالى :
1= المحبة ألألهية اللامتناهية ، الخارقة الكلية .
2= الرحمة الربانية غير المحدودة ، الكاملة الدفء ، الوساعة .

هنا يطرح السؤال الهام على ضمير كل مؤمن مسيحي، كيف يمكن أن يتم التوفيق بين :
1= عدل الله المطلق ، الذي يؤدي إلى معاقبة كل مذنب ، عاص ، خاطىء و مخالف لأوامر الخالق ، قوانينه ، شرائعه ، ناموسه ووصاياه ؟
2= وبين رحمة الله و محبته الكاملتين الذين يغمر بهما حنانا و رأفة جميع مخلوقاته و مصنوعات يديه من أبناء البشر ، بنو الانسان ، نسل آدم و حواء ؟ أي نحن جميعا !
الجواب على هذا التساءل الوجودي ، المصيري ، الكينوني ، الهام يكمن في شخص و أكنوم المسيح - سلامه علينا - فهو :
= ألاله التام ، المساوي للإله ألآب في الجوهر .
= و الانسان التام المساوي لنا نحن طينة بني الناس في كل شيىء ما عدا الخطيئة و الذنب ، المعصية و المنكر المخالف لنواهي الله .
وهو كونه إلها و إنسانا غير خاطىء رضي أن يقدم نفسه مختارا ، حرا ، فداء لنا ، إذ وهب إلى الآب دمه المراق على الصليب فداء أوكفارة و ثمنا لخطايانا .
يقول قانون الايمان في جزئه ما قبل الاخير - وهنا لا بد لنا من أن نكرر تسجيل ذلك الشطر الهام من " شرعة الايمان " المسيحية ، تلك الشهادة - الميثاق :
" الذي (أي عيسى) من أجلنا نحن البشر (أي نسل آدم و حواء ، جمعيه دون أي إستثناء) .
ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء (وهو الاله التام)
و تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء .
و صار إنسانا .
و صلب عنا على عهد بيلاطس البنطي .
تألم و مات وقبر ... "
كل ذلك ، أجرة و ثمنا و فداء لخطايانا و كفارة لمعاصينا إذ أنه بدمه ، نال الجنس البشري الغفران الكامل و التام ، الناجز ، و النهائي من ألآن وحتى قيام الساعة حين المنتهى أو يوم القيامة العظيم : يوم الحشر و الدين .

ثانيا - الكفارة و الغفران في الإمان المسيحي : دم الفادي :

الكفارة في اللغة العربية ، كما في باقي اللغات السامية كالآرمية (أو السريانية) و العبرية و غيرها تعني :
= ألستر ،
= أو التغطية ،
= أو حجب الشيىء عن النظر .
أما في الإيمان المسيحي ، فالكفارة تعني :
عمل المسيح الطوعي الحر المجاني الكامل ، أذ أنه أطاع آلاب حتى الموت على الصليب ، بدلا و ثمنا لأجل خلاص البشر من لعنة الناموس أو الشريعة و لاجل مصالحتهم مع الخالق- الديان ، ذلك بدم صليبه وموته موتا إختياريا ، ثم قيامته قيامة مجيدة .
يقول الحواري بطرس الرسول في رسالت الاولى ما يلي :
"... لأن المسيح مات مرة واحدة من أجل الذنوب ،
= الصالح مات من أجل الاشرار ،
= (مات) لكي يقربنا إلى الله .
= فمات بجسمه البشري لكنه قام حيا بالروح " .
(الانجيل الشريف - الفصل الثالث - العدد 18) .

إن قيمة الكفارة المقدمة إلى آلاب ، فداء لبني البشر تكمن ، بادىء ذي بدء ، في كون المسيح عيسى إبن مريم ، هو ذاتا :
1 = إبن الله الازلي - الكلمة السرمدي : ألاقنوم الثاني من الثالوث القدوس ، ألاله الواحد الصمد .
2 = و إبن الانسان - غير الخاطيء ، كامل الناسوت ، كما هو كامل اللاهوت شمولا و إطلاقا .
قد قدم ذاته - مجانا - تكفيرا عن معصية الانسان . وهي تعبير واضح حي عن فعل ذبيحة المسيح و مفعولها من أجل خلاص كل الخطأة ، و محو عقاب الشريعة و الناموس و رفع الدينونة عن جميع الناس . أما قيمتها الثانية فهي أنها تقدم ترضية تامة ، شاملة و كاملة ، لله و إيفاء لعدله سبحانه و تعالى . و إنها ، ثالثا ، واسطة فعالة لارضائه و إستعطاف رحمته و حنانه و رأفته . وهي ، رابعا ، تعبير عن مفعول ذبيحة المسيح - سلامه علينا - في محو الغضب الألهي و إزالته ، وفي مرضاة الرب الخالق و قبوله بمصالحة المخلوق ، المذنب ، العاصي : إبن آدم ، الانسان ، البشري الخاطي و المذنب .
قال الحواري يوحنا ، الرسول ، وكتب في رسالته الاولى :
" ... ومن لا يحب ، لا يعرف الله . لأن الله محبة ، وقد بين الله بوضوح أنه يحبنا ، بأنه أرسل إبنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا بواسطته ، فهذه هي المحبة التي أقصدها ، ليس أننا نحن أحببنا الله ، بل أنه هو أحبنا ، و أرسل إبنه ليكون ضحية التكفير عن ذنوبنا " .
(ألانجيل الشريف - الاصحاح الرابع - من العدد 8 إلى العدد10) .
هكذا ، يبين الرسول يوحنا ، للؤمنين المسيحيين أن الكفارة في المسيحية ستر و غطاء للنفس المخلوقة المذنبة التي سترت و غطيت بدم عيسى المسيح ، ذلك دونما أن تسأل و تطالب بالعقاب ، قصاصا لها لقاء ذنوبها .
لقد تم رفع البدل المستحق على ذلك المخلوق ، كل مخلوق عنه و وضعه على أكتاف المسيح الفادي و دمه الزكي الذي سفك من أجلنا و الجميع .
قال الحواري بولس ، الرسول وكتب - أيضا في هذا المجال وعلى ذلك المحور يقول مؤكدا :
"... كل هذا يعمله الله الذى صالحنا مع نفسه . بواسطة المسيح ، و كلفنا بمهمة أن نصالح الاخرين معه .
أقصد أن الله صالح العالم معه بواسطة المسيح ، ولم يحسب أخطاءهم ضدهم ، ثم إستأمننا نحن على الرسالة التي بها نصالحهم معه ... "
" ... فأن المسيح الذي لم يرتكب أي ذنب ، جعله الله يحمد ذنبنا ،
لكي نكون صالحين عند الله بواسطته ."
(رسالة الحواري بولس ، الرسول ، الثانية إلى المؤمنين من أهل مدينة كورنتس - الفصل الخامس - الاعداد 18- 19 - 21) .
لقد تمثلت الكفارة ، إذن - و في العهد الجديد - بالفداء . ذلك الفداء الذي أثمه يسوع - عيسى بموته على الصليب ، وافيا مطالب الناموس : شريعة الله و وصاياه ، عوضا عن كل الناس الخطاة وفي سبيل خلاصهم . هكذا ، كان المسيح - قي آلامه و موته البديلي - كفارة ، تممت جميع الغايات ، المعنية بعقاب أبناء آدم و حواء على خطاياهم . لقد و فى المسيح ، العدل الالهي حقه ، جاعلا جميع الخطأة المؤمنين به فاديا و مخلصا ، التائبين إليه و النادمين على جميع منكراتهم ، مبررين ، خالصين ، وارثين الحياة الابدية ، بدمه الكريم ، هو حمل الله الذي جاء في ملء الزمان ليرفع خطيئة العالم .
فداء المسيح و كفارته ، غفرانه و مسامحته ، ما هي إلا نعمة ربانية مجانية . نعمة مباركة و أعطية خالدة لجميع الاجيال .
ذلك أن الخالق ، الازلي ، الديان ، لم يكن مضطرا لأن يقبل أية ذبيحة مقدمة عن نسلنا الخاطيء . كذلك ، فالابن - الكلمة لم يكن مضطرا ولا مجبرا لأن يتجسد ويتولى القيام بعمل الفادي و عملية الفداء . إنما أراد الله - في الازل - نظرا لغناه في الرحمة و من أجل محبته العظمى للبشر صنع يديه ، رفع عقاب الشرعية و قبل - محبا - آلام الابن الكفارية ، التي تحملها المسيح - الكلمة المتجسد ، طائعا مختارا و قدمها ثمنا للخطيئة و أجرا عن الاثم ، بدلا و عوضا عن الانسان الخاطيء و جميع أبناء نسله .
و الكفارة - الفداء هي السبب الذي من أجله ، إرتضى الكائن القدوس أن يخلي ذاته ، فيصير إنسانا متألما ، مأتا على الصليب ، ثمنا و عوضا و أجرة لجميع خطايا كل من يؤمن به و يعتمد باسمه .
"... النفس التي تخطىء هي تموت . "
(الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر نبوة حزقيا - الفصل الثامن عشر - العدد 20)
"... لأن أجرة الخطية هي الموت ".
(الانجل الشريف - رسالة الحواري بولس إلى المؤمنين من أهل مدينة روما - الاصحاح السادس - العدد 23) .

لقد مات أبوانا آدم و حواء روحيا ، حين عصيا أوامر الخالق ، فسقطا ، وإنفصلا عن الله ، كما أنهما فقدا كل شراكتهما الروحية ، المقدسة مع الرب القدوس !
ولكن هل خسرت العائلة الانسانية رجاء ها ؟
هل ضاع كل أمل لها في عودتها إلى الفردوس الذي ضاع بسبب المعصية ؟
هل فقدت طهارتها الكاملة إلى الابد ؟
كلا ! تقول المسيحية ، و يعتقد المؤمنون المسيحيون . لان محبة الله الواسعة أمنت الحل : لأن الله محب .
إنه هو المحبة الخارقة ، اللامتناهية ،
و محبته غنية ، ثرية في الرحمة .
ورحمته ملؤها الغفران و الحنان .
لذلك ، لكل ذلك:
أخذ الرب الاله دور المنقذ ، المخلص ، الفادي ،
في شخص يسوع المسيح الابن الكلمة ،
الذي هو - في الازل - مع الاب ، عند إلله !
و أول شيىء عملته محبة الله هذه ، بعد سقوط الآدميين في الفردوس و معصيتهم أوامر الخالق الذي نهاهم عن أكل الثمرة المحرمة ، هو ستر عري و عورتي آدم و حواء ، الابوين الاولين ، إذ قام الله فأمر و كساهما بأقمصة من جلد ، فألبسهما إياها سترا و عفة . هكذا ، و بعيسى أبن مريم المنقذ الالهي ، كرس الرب فداءه و كفارته و غفرانه لجميع مخلوقاته من بني الانسان .

ثالثا - عقيدة الفداء و مبادىء الاسلام :

... ذلك في النصرانية المسيحية و لدى الاخوة المسحيين النصارى .
أما في الاسلام وفي معتقد الاخوة المسلمين ، فالامر يختلف و يفترق فعلا و حقيقة .
لقد رأينا - أيها القارى الفاضل - في رحلتنا القصيرة مع المحورين الاول و الثاني ، في ما سبق من هذا البحس الموجز ، السريع ، رأينا كيف أن الدين الحنيف أعلن عن نفسه قائلا بأنه :
= لا يقر بعقيدة الوحدانية في ثالوث الاقانيم .
= ولا يعترف أو يؤمن بعقيدة التجسد أي تجسد الاقنوم الثاني من الثالوث القدوس ، الابن - الكلمة الذي صار إنسانا - وهو إلاله الحي القيوم - في شخص عيسى إبن مريم و يسوع المسيح ، عمانوئيل أبن داود .
و آلان ، فلقد جاء الوقت المناسب و حان لنا آن نبحث كي نرى بوضوح و علم و أمانة كيف أن الاسلام و من ورائه الاخوة المسلمون المؤمنون ، لا يؤمنون أيضا و أيضا بالعقيدة الثالثة تماما كعدم إعترافهم بالعقيدتين الاولى و الثانية .
وتقول العقيدة الثالثة التي يؤمن بها الاخوة النصارى بموت عيسى المسيح على الصليب ، محكوما بالاعدام و الموت من قبل اليهود الذين عاصروه و المحتلين الرومان . لقد مات المسيح موتا إختيارا حرا بملء إرادته و مشيئته ، فداء و كفارة عن الجنس البشري و إنقاذا له من الهلاك الابدي .
لقد بذل يسوع دمه الكريم ثمنا للخطايا و المعاصي ، للآثام و المنكرات ، كما تقول النصرانية و الاخوة النصارى .

يقول الانجيل ، في بشارة يوحنا ، ما يلي :
"... كما رفع موسى الحية في الصحراء ،
فان أبن الانسان أيضا يجب أن يرفع ،
لينال كل من يؤمن به حياة الخلود ،
أحب الله كل الناس ،
لدرجة أنه بذل إبنه الوحيد ،
لكي لا يهلك كل من يؤمن به ،
بل ينال حياة الخلود .
لأن الله أرسل أبنه إلى الناس لا ليعاقبهم بل لينجيهم .
من يؤمن به ،
فقد صدر ضده العقاب من الآن
لانه لم يؤمن بابن الله الوحيد ."

(الاصحاح الثالث - من العدد 14 إلى العدد 18) .

أما القرآن المجيد ،
فيقول في معارض عديدة من سوره الكريمة و آياته ، حول المعصية و الاثم : معصية آدم و اثم حواء ، و الغفران و الكفارة و الفداء ما يلي :
ففي سورة النساء التي رقمها 4 في التسلسل القرآني الوارد في المصحف ، يقول الكاتب المجيد :
" إن الله لايغفر أن يشرك به ، و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد إفترى إثما عظيما ."
فالآية تلك التي تحمل الرقم 48 من آيات سورة النساء ، واضحة كل الوضوح حول ما يتناول معنى الغفران في الاسلام ، إذ يجزم القرآن - كما رأينا - أن الله يغفر ، برحمته الواسعة كل الذنوب و الاثام ما عدا إن يشرك به هو الاله الواحد الاحد . رب المشرقين و رب المغربين ، سبحانه و تعالى عما يشركون .
ثم يعود القرآن المجيد فيكرر في نفس السورة : سورة النساء عينها و ذاتها ، ما يلي :
" إن الله لا يغفر أن يشرك به
و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فلقد ضل ضلالا بعيدا. "
(الآية الكريمة 116)
يغفر الله سبحانه و تعالى إذن - إستنادا إلى القرآن المجيد - لمن يشاء و يعاقب من يشاء . ويفعل الرب الخالق - الديان ذلك متى يريد ، كيفما يريد ، وحسب ما يريد . دونما أي حاجة أو شرط أو مبرر أو علة أو سبب أو مسوغ يأتي من خارج جوهره تبارك و تعالى أو من خارج صفاته المباركة أو أسمائه الحسنى .
إنه" على كل شيىء قدير ".
(سورة الحشر و رقمها التسلسلي 59 - الاية 6)
وهو يفعل ما يريد .
الله يغفر دون قيد أو شرط . وكل المعاصي و الآثام مرشحة لديه تعالى للغفران ، دونما حاجة لأية واسطة او شفاعة .
من هنا نرى أن عقيدة الفداء في الاسلام ، تبدو و كأنها لا ضرورة لها إطلاقا . فغفران الخطايا و المعاصي و الذنوب لا يحتاج لأي دم يراق لمحوه و غسله و سواء كان هذا الدم دم عيسى أبن مريم أو غيره من الانبياء او الرسل أو الناس الابرار .
فما من شيىء ، أبدا يحد من قدرة المولى ، الخالق ، الصانع ، على منح الغفران هبة مجانية لمن يريد هو و عندما يريد هو و مثل ما يريد هو.
تقول سورة البقرة في هذا المجال ما يلي :
" وقلنا يا آدم أسكن أنت و زوجك الجنة
و كلا منها رغدا حيث شئتما،
ولا تقربا هذه الشجرة ،
فتكونا من الظالمين ،
فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه .
وقلنا إهبطوا بعضكم لبعض عدو
ولكم في الارض مستقر و متاع إلى حين
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
إنه هو التواب الرحيم.
قلنا إهبطوا منها جميعا
فإما يأتينكم مني هدى
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون. "
(سورة البقرة ، رقم 2 - الآيات 35 ، 36 ، 37 ، 38 ،)
هكذا ، كما رأينا في نص القرآن المجيد ، أن الله قد غفر لآدم و حواء و نسلهما ، دونما أي حاجة إلى - فداء - أو كفارة أو أي سبب مبرر ، سوى التوبة الصادقة النصوحة عن الخطايا و الاثام و سؤال المسامحة بقلب سليم و نية صادقة جادة .

و بموجز الكلام فان عقيدة الفداء ، تبدو غير لازمة أو واجبة الوجود في الاسلام و تعاليمه . ومن هذا المنطلق فأن الاسلام لا يؤمن بأن عيسى ، قد صلب و مات كفارة و فداء . لأن الله غير محتاج إليه كما أنه غير محتاج لصلبه و موته الفدائي الكفاري لكي يغفر لآدم و للجنس البشري آثامهم و معاصيهم .
أنه - أي الرب الرحمان الرحيم - ليس بحاجة لأي واسطة أو وسيلة تجيز له ممارسة سلطانه المطلق التام الكامل في المغفرة ومحو الاثام و الذنوب . فالسيئات يذهبها الله كما يريد و يشاء وعندما يريد و يشاء دونما أي حساب . وما على الانسان إلا أن يتوب و يحترم مبادىء الدين ، عبادات و شرع ، معاملات و احكام حتى يكسب :
1= رضا الله و رضوانه.
2= توبته و مغفرته و مسامحته الكريمة المجانية.
3= حنانه و غفرانه و رضاه .
4= نعمة - تبارك و تعالى- و خيراته و حسناته العديدة المتنوعة و التي لا تعد ولا تحصى .
وإذا كان المخلوق يسال عن أعماله ، حسناتها و سيئاتها ، فان الخالق لا يسال عن شيىء أبدا و إطلاقا . فالله - تعالى "لا يسأل عن شيىء و أنتم تسألون "

أ - الاسلام و الصلب : عيسى لم يصلب !

لقد حسم القرآن المجيد مقولة صلب المسيح و تعليم الاخوة المسيحيين الذين يقولون و يؤمنون بوقوعها و بنتائجها الفدائية الكفارية الغفرانية ، فنفى صلب عيسى ابن مريم حين جزم بالقول القاطع الحاسم :
"... و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ،
و لكن شبه لهم ،
و إن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ،
مالهم به من علم إلا إتباع الظن ،
وما قتلوه يقينا ،
بل رفعه الله إليه ،
وكان الله عزيزا حكيما . "
(سورة النساء ورقمها التسلسلي 4 - الآيتان 157 و 158) .
إذن ، لا صلب في الاسلام ولا صليب عند الاخوة المسليمين كما انه لا حاجة لعقيدة الفداء ولا لزوم فهي غريبة كل الغربة عن عالم الدين الحنيف ، مبادئه و تعاليمه ، فكره و عقائده .
إن عيسى لم يصلب ولم يكن بحاجة إلى أن يصلب ، وهو لم يتألم و لم يحتقر أو يهان لأنه لم يكن بحاجة إلى ذلك.
أما مقولة الانجيل حسب بشارة الحواري الرسول لوقا و التي تقول :
"... وقال لهم :(أي يسوع المسيح) :
هكذا قد كتب ،
وهكذا كان لابد أن يتألم (المسيح ، أن يصلب و يموت) و يقوم من بين الاموات في اليوم الثالث "
(الاصحاح الرابع و العشرين - العدد 46)
فأن الاسلام لا يقرها أو يؤمن بها . المسيح لم يصلب و لم يمت على الصليب ، إنه نبي كريم من أولي العزم ، فحاشا له أن : يحتقر أو يعذب أو يهان لأي سبب من الاسباب وفي أي ظرف من الظروف أو أي وقت من الاوقات .

ب- الاسلام و الفداء : مغفرة الخطايا ، ليست بحاجة إلى الفداء أو إلى دم المسيح .

لابد لنا أن نكرر - أيها القارئ الكريم - آن عقيدة الفداء ، فداء المسيح لخطايا بني الانسان غير واردة في الاسلام .
يقول القرآن المجيد في سورة طه وهي السورة العشرون :
" و إذ قلنا للملائكة إسجدو لآدم ،
فسجدوا إلا إبليس أبى ،
فقلنا يآآدم آن هذا عدو لك و لزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى .
إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى
و إنك لا تظمؤا فيها و لاتضحى.

فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم
هل أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى .
فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
وعصى آدم ربه فغوى
ثم إجتباه ربه ، فتاب عليه و هدى .
قال أهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو
فأما يأتينكم مني هدى
فمن إتبع هداي فلا يضل ولا يشقى .
ومن أعرض عن ذكري فأن له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيامة أعمى ."
(الآيات 116 إلى آخر الاية 124)
الله - جل و علا - يغفر إذن لكل من تاب عن معصيته و ذنبه ، إثمه أو خطيئته ، دونما حاجة إلى أية كفارة أو فداء .
فالشرط الوحيد الذي على كل مؤمن أن يقوم به هو:
= التوبة النصوحة و طلب الغفران و الندم الصادق العميق. و تلك التوبة كفيلة بتأمين المغفرة ، شرط آن تكون توبة صدق من المؤمن الخاطىء المعني ، توبة قلبية نصوحة كما قلنا .
يقول الكتاب الكريم في معرض آخر من فسيح رحابه :
..." ويا آدم أسكن أنت و زوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ،
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سؤاتهما
قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
إلا أن تكونا ملكين
أو تكونا من الخالدين ...
....
قالا ر بنا ظلمنا أنفسنا ،
وإن لم تغفر لنا و ترحمنا
لنكونن من الخاسرين .
قال إهبطوا بعضكم لبعض عدو
و لكم في الارض مستقر و متاع إلى حين ،
قال فيها تحيون و فيها تموتون ومنها تخرجون ."
(سورة الاعراف و رقمها السابعة - الآيات 19 إلى 25)
إذ آن معناها هو الشيىء الذي يلتقي تماما مع إستبعاد عقيدة الفداء و عدم ضرورة وجودها في هيكلية بناء الايمان الاسلامي ...
و نتابع مع القرآن المجيد، فنصل إلى سورة القصص التي تقول :
"... ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها (و الكلام ههنا عن النبي موسى ، عليه السلام).
فوجد فيها رجلين يقتتلان ،
هذا من شيعته وهذا من عدوه ،
فاستغاثه الذي من شيعته ،
على الذي من عدوه ،
فوكزه موسى فقض عليه ،
قال هذا من عمل الشيطان
إنه عدو مضل مبين .
قال رب إني ظلمت نفسي ،
فاغفر لي
فغفر له ،
إنه هو الغفور الرحيم ."

(الآيتان 15 و 16)
أما في سورة ص ، السورة الثامنة و الثلاثون فيقول (القرآن المجيد ، في معرض كلامه عن داود النبي :
".... و ظن داود إنما فتناه ،
فاستغفر ربه و خر راكعا و أناب
فغفرنا له ذلك
و إن له عندنا الزلفى و حسن مآب."
(الايتان 23 و 24)
"... قال رب إغفر لي و لأخي (أي موسى و هارون ، عليهما السلام)"
و أدخلنا في رحمتك و أنت أرحم الراحمين ."
(سورة الاعراف ، السورة ذات الرقم 7 - الآية 150)
"... و أستغفر الله ، إن الله كان غفورا رحيما ." (سورة النساء (4) - الآية 106 .)
فرحمة رب العالمين ، لا إله إلا هو الواحد الصمد ، كفيلة وحدها بمغفرة المعاصي و الذنوب جميعها ، وكل الخطايا قابلة للغفران ... اللهم ماعدا الشرك بالله أو الخروج عن مبدأ التوحيد الاسلامي الصارم .
تتم المغفرة كتقدمة مجانية _ نعمة من الخالق الديان دونما أية كفارة أو ثمن أو أجرة أو فداء .... اللهم سوى التوبة القلبية ، الصادقة النصوحة و الندم العميق ، الكامل الشامل ، النابع من قلب الانسان السليم .

ج- الاسلام و العقاب :

يؤمن الدين الحنيف و يقول ، هو و الاخوة المسلمون :
1= بمبدأ العقاب قصاصا لكل من إرتكب عملا سيئا و منكرا ، ذنبا أو خطيئة أو معصية ، سواء في الحياة الفردية أو العائلية و المجتمعية .
ويقول القرآن في هذا المجال :
" وقل الحق من ربكم ،
فمن شاء فليؤمن،
ومن شاء فليكفر ،
إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها (أي عقاب جهنم - النار !)
و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا . "
(سورة الكهف - رقم 18 - الاية الكريمة 29)
2 = وبمبدأ التواب مكافأة عن كل عمل صالح و معروف ، حسنة أو بر ، هذا في الدنيا و في الاخرة :
" ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات
إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا .
أولائك لهم جنات عدن
تجري من تحتهم الانهار ،
يحلون فيها من أساور من ذهب ،
ويلبسون ثيابا
خضرا من سندس و إستبرق ،
متكئين فيها على الارائك ،
نعم الثواب و حسنت مرتفقا ."
(سورة الكهف - أيضا - الاية رقم 30)
ويتم ذلك العقاب وهذا التواب بارادة الله و مشيئته دونما أي حاجة لوسيط أو فاد أو شفيع :
" نبىء عبادي إني أنا الغفور الرحيم ،
وأن عذابي هو العذاب الاليم ."
(سورة الحجر - ورقمها التسلسلي 15 - الآيتان 49 و 50)
هي رحمة الله إذن و رأفته تغفر و تثيب ، و عدل الله التام الكامل الشامل هو الذي يعاقب حسب ما يشاء و يحاسب كيفما يشاء دونما أية فواصل أو حدود أو موانع .
فلقد ورد في حديث نبوي من السنة الشريفة ، رواه مسلم و البخاري يقول فيه الرسول ما يلي :

"- ما منكم من أحد يدخل الجنة
إلا برحمة الله تعالى ،
قيل : ولا أنت يا رسول الله .
قال : ولا أنا إلا آن يتغمدني الله برحمته ."
وفي حديث نبوي آخر ، رواه أبو هريرة يقول :
"- سمعت الرسول يقول لاستغفر الله و أتوب إليه في اليوم سبعين مرة ."
أما في حديث ثالث ، روته إبنة خالد بالاضافة إلى أبي هريرة الذي رواه هو بدوره أيضا ، يقول :
" كان رسول الله يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر و عذاب النار "
(راجع صحيح البخاري - الجزء الاول)

فأبناء الشر - حسب مايرى الاخوة المسلمون المؤمنون - لا يحتاجون إلى أي مخلص أو فاد يتولى تخليصهم و فداءهم من العذاب الذي اعده الخالق للذين يخالفون وصاياه أو الذين يقترفون الاثام و المنكرات . كما أنهم ليسو بحاجة إلى " كفارة لاعيب فيها " لفداءهم و لاظهار العدل الالهي و الرحمة الربانية التي لا تقتضي أية عملية صلب أو دم خال من الخطيئة أو أية خطة موت للمسيح أو قيامته أو صعوده إلى السماء .

المحور الرابع : الخطيئة الأصلية ، في المسيحية و الاسلام .

أولا - عقيدة الخطيئة الاصلية في المسيحية :

في المسيحية ، يعترف الاخوة النصارى المؤمنون و يقرون بعقيدة إيمانية اساسية هي عقيدة الخطيئة الاصلية . و لقد ورث الجنس البشري تلك الخطيئة - فيما ورث ، وحسب إعتقادهم - من جراء عصيان أبينا آدم عليه السلام ، و أمنا حواء ، أم جميع البشر .

إن شرح موضوع هذه العقيدة ولو بأقتضاب ، يقضي بنا أن نعود و نرجع إلى النصوص المقدسة ، بداً بسفر التكوين ، في العهد القديم من الكتاب المقدس الذي يقول فيخبرنا :

" ... ثم قال الله :
لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا ... .
فخلق الله الانسان على صورته .
على صورة الله خلقه ، ذكرا و أنثى خلقهم ....
(الفصل الاول - العددان 26 و 27)
"... و أخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليفلحها و يعتني بها ،
و أمر الرب الاله آدم قائلا :
كل ماتشاء من جميع أشجار الجنة ،
ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر ،
لانك حين تأكل منها موتا تموت "
(الاصحاح الثاني - الاعداد 15 و 16 و 17)

دعونا نرى ، بعد هذه المقدمة ، كيف حدث العصيان الآثم : عصيان آدم و حواء لوصية خالقهما ؟
وكيف وقعت المخالفة الخطيئة ؟

".... و عندما شاهدة المرأة (أي حواء) أن الشجرة لذيذة ...
قطفت من ثمرها و أكلت ،
ثم أعطت زوجها أيضا ،
فأكل ...
و قال (الرب الاله) لآدم :
لأنك أذعنت لقول إمرأتك ...
فالارض ملعونة بسببك ....
بعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الارض ،
فمن التراب أخذت وإلى تراب تعود ."

هكذا أصبح آدم و حواء مخلوقين مائتين ، بعد أن كانا خالدين .
و هكذا ورث الجنس البشري منهما و عنهما ، منذ ساعتها و حتى قيام الساعة ، في حينه :
1= الموت و التعب و الشقاء للحصول على مقومات العيش .
2= المرض و الكوارث و المصائب و الويلات المادية و المعنوية .
3= الخطيئة أي مخالفة و معصية أوامر الخالق الديان ، و العمل بعكس أوامره و إرادته و مشيئته تعالى .
طرد أبوانا الاثنان من جنة عدن ، حيث أقامهما المولى .

وكان أن ولدن نحن - كما ولد آباءنا و أجدادنا و أسلافنا - من نسلهما الملعون ، على هذه الارض الملعونة بسببهما ، مع ما فيها من هموم ومصاعد و تعاسة و ضيق و مكاره .

فالخطيئة الاصلية هي تركة الموت والمرض و الجوع و الفاقة . كما أنها إرث الإحزان و الشقاء و التعب التي ورثناها . فصارت فينا ، في صلب أجسادنا المائتة .

إنه عقاب الله العادل الذي أقامه الرب علينا كلنا بسبب تلك المخالفة الجسمية التي أرتكبها أبوينا في جنة عدن ، بتحريض من الحية الملعونة .

ثانيا - خطة الخلاص الالهية ، إنقاذا للانسان و نسل آدم .

لقد وقعت الكارثة الكبرى ، و المصيبة العظمى : مخالفة الامر ألالهي السامي، فتحرك العدل الالهي و عاقب الزوجان عقوبة عادلة : إذ قرر لهما الموت و الشقاء و الهلاك الابدي ... و لم يعد يوجد بعد ذلك ، لم يعد يوجد صلاح أو خير أو بركة أو معروف.

يقول الحواري بولس الرسول في رسالته إلى المؤمنين من أهل روما ما يلي :

" ... كما يقول الكتاب :
لايوجد أحد صالح أبدا ،
ولا واحد يفهم ،
ولا واحد يطلب الله ،
كلهم ضلوا ،
كلهم فسدوا ،
ول اواحد يعمل الصالح ،
ولا حتى واحد ....
لان الجميع أخطأوا ولم يبلغوا إلى ما يمجد الله ."
(الفصل الثالث - الاعداد 10 إلى 12 - و 23)

تجاه هذا الواقع المر المرير ، و الامر الخطير ، ما العمل ؟

لقد تدخل الرب الاله برحمته السموحة و تولى إنقاذ الانسان بحنانه و رأفته ، فوعده بمخلص إلهي ينقذه و ينقذ البشرية من الهلاك الابدي .

وهنا ، لنا عودة أخرى جديدة إلى وثيقة الايمان التي يتلوها الاخوة النصارى المؤمنون إلى قانون الايمان النيقاوي الذي يقول :

"... الذي من أجلنا نحن البشر ،
و من أجل خلاصنا ،
نزل من السماء ، (أي يسوع المسيح - عيسى إبن مريم)
وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ،
و صار إنسانا ،
وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي .
تألم و مات وقبر و قام .... "

مؤديا عنا ثمن خطيئتنا الاصلية و جميع خطايانا بمجرد إيماننا به و إعترافنا بفدائه و شهادتنا لحقه و لمحبته للبشر ، لنا جميعا .

هذا ما يؤمن به الاخوة المسيحيون و الذي نوجزه عندما نتكلم عن خطة الله الخلاصية المتمثلة بالمسيح و فدائه الكفاري - الغفراني لجميع الذين يؤمنون به و باسمه ، فيعتمدون ، شهادة و اقرارا به كمخلص فاد هاد لجميع البشر .

لقد صلب المسيح ، يقول الاخوة النصارى ، و مات كفارة عنا .

تعذب و هدر دمه حرا مختارا " ليشتري " - عوضا عن الناس، كل الناس - خطاياهم و شرورهم . فكان و أصبح بتجسده و موته على الصليب ، الذبيحة الخلاصية ، الكفارية ، الغفرانية التي" دفعت ثمن " الاثام بما في ذلك الخطيئة الاصلية و " سددت " نحو عدل الله سبحانه ذلك الحمل الثقيل : حمل مخالفة الامر و الوصية و الشريعة . لقد قبل الخالق - الديان بعدله و رحمته ، ذبيحة الابن - الكلمة ، الاقنوم الثاني في الثالوث القدوس ، قبلها " ثمنا " للخطيئة و عفا بموجب ذلك - رحمة منه و رأفة - عن جميع شرور العالم و آثامه :

"...آن الخطيئة جاءت إلى العالم عن طريق إنسان واحد و جلبت الخطيئة معها الموت.
لهذا يموت كل الناس ، لانهم أخطأوا كلهم ."
(رسالة بولس الرسول إلى المؤمنين من أهل مدينة روما - الاصحاح الخامس - العدد 12)

"... آن الله لم يبخل علينا بابنه (يسوع _ عيسى)،
بل بذله (أي ضحى بنفسه) من أجلنا جميعا ...
لان المسيح عيسى مات و اكثر من ذلك قام حيا ، وهو موجود عن يمين الله (الاب) يشفع فينا .... "
"... لأني متاكد (و المتكلم هو الحواري بولس) أنه لا الموت ولا الحياة ، لا الملائكة ولا الحكام ، لا الامور الحاضرة ...

.... لا شيىء في الكون كله يقدر أن يفصلنا عن محبة الله التي تجلت في المسيح عيسى ربا."
(الرسالة ذاتها أعلاه - الفصل الثامن - الاعداد 38 - 39 - 40)
و أخيرا لا آخرا ، يقول بولس :
" آن المسيح مات من أجل ذنوبنا "
(الرسالة الاولى إلى المؤمنين من أهل مدينة كورنتوس - الاصحاح الخامس عشر - العدد 3)
لقد مات المسيح إذن لينقذ الناس من إرث و تركة الخطيئة الاصلية : أم الاثام و أساس المعاصي و الذنوب ، هذا في المعتقد المسيحي. و تلك الخطيئة الاصلية إنتقلت من آدم و حواء إلى جميع بني البشر. و هي و باء روحي يفسد الانسان و يؤدي إلى الموتالابدي روحيا و ماديا و نفسيا .
فقول الله _ جل و علا _ لآدم حسب ما ورد في سفر التكوين بأنه يوم يأكل من الشجرة التي منع الله الاكل من ثمارها : موتا يموت . وقوله أيضا ، حسب ما ورد في نبؤة حزقيال أحد الاسفار الهامة من العهد القديم في الكتاب المقدس ، إذ أكد المولى على لسان النبي :
أن " النفس التي تخطىء هي تموت ".
(سفر حزقيال - الفصل الثامن عشر - العدد 4)
ويعي ذلك ، أيضا ، بأن : الموت هو أجرة الخطيئة ، ثمنها و العقاب العادل لها .
تشير هذه الاقوال الكريمة من الكتاب المقدس ، تشير بشكل واضح ، هين ، سهل و منطقي ، إلى إن الله لم يجازي مرتكب المعصية بالموت ظلما ، زورا أو بهتانا . معاذ الله ! بل هو يعاقب الخاطىء المستحق القصاص عدلا ، فيحاسب و يقاصص و يجازي بشكل متوازن مع أهمية الجرم أو المخالفة التي تعرض أمام حضرته الربانية .
لقد إختار آدم و حواء - أبوانا ، طوعا وبملء حريتهما ، أن يخلفا وصية المولى ، الخالق القدير ، فكان لابد لهما - إستنادا إلى قضاء الله العادل و حكمه المحق - أن يموتا .
فالله - في أعتقاد المسيحي المؤمن - لا يمكن له أن يرضى ، وهو قمة العدل اللا محدود ، بأن يعفو عن المذنب الخاطىء ، وارث الخطيئة الاصلية الجسيمة . إنه ، كي يقبل أن يسامح و يعفو ، يطلب تقديم كفارة جليلة ، توازي في جلالها أهمية و فداحة الذنب المرتكب ، شرط أن تقدم تلك الكفارة بتواضع و إنكسار أمام عرش عدله و رأفته و محبته السامية ، الخارقة ، الفائقة البهاء و الاعجاز .
هكذا ، وفي مثل هذا السياق و المنطق اللاهوتي السليم المحق ، يعتبر الموت ههنا إنقطاع الصلة التام بين المذنب الآثم والله جل و علا . ولاعادة تلك الصلة بين الخالق و المخلوق ، وضع الله الديان خطة خلاصية يقوم بالدور الرئيسي فيها الاقنوم الثاني ، الابن - الكلمة ، يسوع المسيح ، عيسى ابن مريم ، سلامه علينا ، لأنه :
" ... أحب الله كل الناس ،
لدرجة أنه بذل إبنه الوحيد ،
لكي لا يهلك كل من يؤمن به ،
بل ينال حياة الخلود .
لأن الله أرسل إبنه إلى الناس .
لا ليعاقبهم بل لينجيهم ،
من يؤمن به لا يعاقب ... .
و من لا يؤمن به فقد صدر ضده العقاب من الان
لأنه لم يؤمن بابن الله الوحيد ... "
(الانجيل الشريف - بشارة الحواري يوحنا الرسول - الاصحاح الثالث - الاعداد ذوات الارقام 16 ، 17 ، 18)

ثالثا - الخطيئة الاصلية : غفرت بدم المسيح :

قلنا ، و لكن علينا آن نكرر ، بان الخطيئة الاصلية غفرت ، وغسلت و إنمحت عبر خطة الخلاص و كفارة المسيح الذي قدم نفسه ذبيحة لله الاب فداء و بدلا لخطايا العالم :
"... وفي الغد ، رأى يحيى عيسى مقبلا إليه فقال : أنظروا ، هذا هو الحمل الذي أرسله الله ليرفع خطيئة الناس ."
(الانجيل الشريف - بشارة يوحنا الرسول - الفصل الاول - عدد 29)
فلولا مجيىء المسيح بالجسد و صيرورته إنسانا كاملا ، تاما ثم بشارته و خدمته الروحية .... ثم موته الاختياري ، الحر ، على الصليب لكانت الخطيئة الاصلية بعدها ، لا تزال موجودة في ذات و نفس كل المخلوقات البشرية :
على المسيحي المؤمن إذن و قبل كل شيىء :

أولا ، آن يشهد للمسيح مخلصا و فاديا إلهيا .
و أن يعتمد (أي يتغطس) بالماء ثانيا ،
لكي تغفر له :
1= خطيئته الاصلية أولا
2= و خطاياه الاخرى ثانيا .
يقول سمعان بطرس في رسالته الاولى في الانجيل الشريف :" أما أنتم (وهويتكلم تهنا عن الاخوة المؤمنين بالمسيح)
،
فانكم جماعة مختارة ،
كهنة الملك ،
أمة مقدسة ،
و شعب ينتمي لله ،
لكي تخبروا الناس بعظائم الله ،
الذي دعاكم من الظلام إلى نوره الباهر ،
لأنكم في الماضي ،
لم تكونوا شعب الله ،
أما الان فانتم شعبه ،
في الماضي كنتم غير مرحومين ،
أما الان فقد رحمكم الله .
(الاصحاح الثاني - العددين رقم 9 و 10)

رابعا - عقيدة الخطيئة الاصلية في الاسلام :

ليس هناك من خطيئة أصلية في تعاليم الاسلام ولا في معتقدات الاخوة المسلمين . إنهم لا يعترفون ولا يقرون بأي تعليم أو مبدأ يقول بوجود الخطيئة الاصلية ، ذلك الاثم الكبير الذي أورثنا اياه أبوانا الاولين آدم و حواء، لنا و لكامل نسلهما من بني البشر ، هذا حسب الايمان و التعاليم التي يؤمن بها المسيحيون النصارى .

إليك ايها القارئ الكريم ما يقوله التعليم الاسلامي حول تلك العقيدة :
لقد خلق المولى ، الرحمان الرحيم الانسان الاول ، أبينا آدم ، طاهرا و بريئا ، سعيدا و موفورا ، و اسكنه عليه السلام ، جنة عدن ، فقعد فيها مسرورا لا يلهيه فيها شيىء عن عبادة المولى ، خالقه الديان .
كل ذلك إمتثالا و إنفاذا لحكم الآية القرآنية الكريمة : " وما خلقت الانس و الجن إلا ليعبدون "
(القرآن المجيد - سورة - الآية)
غير أن أبينا آدم خالف أوامر مولاه ، رب العالمين، فارتكب خطيئة و معصية ، يعتبر هو نفسه و شخصيا مسؤولا عنها مسؤولية شخصية فردية مباشرة . وتلك المعصية التي إرتكبها آدم أبو البشر لا يمكن لها آن تنعكس على أفراد نسله من الجنس البشري تركة ذنب و إرث خطيئة يحمل وزرها جميع أ عضاء بني الانسان .
يقول الكتاب المجيد ، في ذلك ما يلي : " وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، و نخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " .
(سورة الاسراء ذات الرقم 17 - الآيتان 14 و 15)
ويقول أيضا في سورة السجدة و تحمل الرقم 32 :
" أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم جنة المأوى نزلا بما كانوا يعملون ،
و أما الذين فسقوا فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ،
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به تكذبون
و لنذيقنهم من العذاب الادنى
دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون
(الآيات 19 ، 20 ، 21)
"... فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .
(سورة الزلزلة ذات الرقم 99 - الآيتان 7 و 8)
فالله - جل و علا - يغفر كل الخطايا ، إلا أن يشرك به ، كيفما يشاء و عندما يشاء . وهو يعاقب على الخطايا كيفما يشاء و عندما يشاء .
يؤكد ذلك أحاديث نبوية كثيرة منها :
1= " عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه و سلم و معاذ رضي الله عنه رديفه على الرحل قال :
يامعاذ ! قال : لبيك يا رسول الله و سعديك.
قال : يا معاذ!
قال : لبيك يا رسول الله و سعديك ، - ثلاثا - ،
قال : قال : (أي الرسول) ما من أحد يشهد أن
لا إله آلا الله و أن محمدا رسول الله
صدقا من قلبه ،
إلا حرمه الله على النار .
قال : يا رسول الله !
أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟
قال : إذن يتكلوا ."
(حديث متفق عليه - كتاب مشكاة المصابيح - الحديث رقم 25 حققه الالباني) .
2= " عن أبي ذر الغفاري قال :
أتيت النبي صلى الله عليه و سلم و عليه ثوب أبيض و هو بنائم ،
ثم أتيته و قد إستيقظ ، فقال :
ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك ، إلا دخل الجنة .
قلت : و إن زنى إن سرق ؟
قال : إن زنى وإن سرق.
قلت (ثانية) : و إن زنى و إن سرق ؟
قال : وإن زنى و إن سرق ، على رغم أنف أبي ذر ."
(المرجع السابق عينه - الحديث رقم 26)
3= وعن عبادة إبن الصامق قال : " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :
من شهد أن لا إله آلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله ،
و أن عيسى عبد الله و رسوله و أبن أمته و كلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه،
و الجنة و النار حق
أدخله الله الجنة على ماكان من العمل .
(راجع كتاب مشكاة المصابيح - الحديث رقم 27 - تحقيق الالباني)
4= وعن أبي نعيم من حديث أبي الزبير عن جابر قال :
" سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ، لا يدخل أحدا منكم الجنة عمله ، ولا يجيره من النار ، ولا أنا ، إلا بتوحيد من الله تعالى. "
(راجع كتاب هادي الارواح لأبن قيم الجوزية - الفصل التاسع عشر)
5= يقول حديث عن أم المؤمنين ، عائشة رضي الله عنها ، قالت:
" يا رسول الله ! مامن أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى ؟
فقال : ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى ، ثلاثا .
قالت : ولا أنت ، يا رسول الله ؟
فوضع يده على هامته ، فقال :
ولا أنا ، إلا آن يتغمدني الله برحمته.
... قالها ثلاث مرات ".
(عن كتاب مشكاة المصابيح - الحديث 1305 - حققه الالبانى)
6 = وعن صحيح البخاري ، عن أبي هريرة قال:
قال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين أنزل عليه ،

* و أنذر عشيرتك الاقربين : *
يا معشر قريش إشتروا أنفسكم من الله ،
لا أغني عنكم من الله شيئا .
يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا .
يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئا ،
يا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا .
(سورة الشعراء - رقمها المتسلسل 26 - الآية 214 - صحيح البخاري)

خامسا - أنواع المعاصي و الخطايا في الاسلام :

إن غفران الخطايا يعود - في إيمان الاخوة المسلمين - إلى الله العادل ، الرحمان الرحيم ، الغافر و المعاقب . و لكن ، ما هي تلك المعاصي و ما أنواع الخطايا في الدين الحنيف ؟
الخطيئة أو المعصية أو الذنب في الاسلام نوعان :

أ = الخطيئة الكبير ، أو الخطايا الكبائر وهي التالية :

الكفر بالله
الشرك به ، سبحانه و تعالى .
اليأس من رحمة الله .
التكرار في أرتكاب الصغائر أو الخطايا الصغيرة .
القول بسلامة المخلوق من غضب الله.
الشهادة الزور .
القدح و الذم و القذف بحق أي مؤمن مسلم ،
اليمين الكاذبة .
السحر و الشعوذة وما يعود اليهما .
شرب الخمر .
أكل مال اليتيم بغير حق .
الربا و الميسر .
الزنا و اللواط و ما شابه ذلك .
السرقة .
قتل النفس بغير حق أو مبرر شرعي .
عصيان الوالدين و الخروج عن سلطتهما .
الهروب من ساحة الحرب أو المعركة و عدم مواجهة الكفار فيها .

ب = الصغائر أو الخطايا الصغيرة :

وهي ما تبقى من الآثام و المعاصي و المنكرات الاخرى ، غير الكبيرة و غير المذكورة في الجدول أعلاه .

إن الاسلام يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ، و المنكر هو ألاثم و المعصية . هو الحرام المنافي و المعاكس للحلال . و كل منكر حرام و كل معروف حلال ، هذا منذ آن بدأت الحياة على وجه الارض و منذ أن خلق الانسان الاول ، رجلا و إمرأة .... و حتى يومنا هذا ... إلى قيام الساعة .
فالانسان ، كل إنسان مسؤول مسؤولية شخصية عن أعماله :
1= حراما كانت أم منكرا أو معصية كانت أم أثما أو خطيئة كانت أم ذنبا أم سوء.
2= أو حلالا كانت أم معروفا ، أو خيرا كانت أم إحسانا .

إنه مسؤول بشخصه هو عنها ، يعاقب أو يثاب من قبل الخالق - الديان حسب ما قام به من خير الاعمال و الحسنات و الخدمات و العبادات بالاضافة إلى مكارم الاخلاق و جميل المعاملات . أو حسب ما إرتكب و يرتكب من شر الاعمال و السيئات و الاساءات و الاخلال بواجبات العبادة و جميع ما تأمر به النفس الامارة بالسؤ .....
هكذا ، فأما آن يجازى شخصيا و يثاب فرديا إستنادا إلى مسؤوليته الخاصة أو يدان و يعاقب على ما قامت به يداه .
الاسلام إذن ، لا يعترف ولا يقول ولا يؤمن :
1= لا بالخطيئة الاصلية ، تقع من جراء فعل آدم - وحتما - على الاخوة المسلمين ، المؤمنين و جميع بني الناس .
فالمعصية التي أرتكبها آدم و أمراته حواء ، أبوانا في الانسانية و ابوا الجميع الناس هما فقط مسؤولان عنها مسؤولية شخصية و فردية .
2= و لا بالفداء يأتي من طرف مخلص ، فاد و هاد يدفع ثمن و أجرة الخطيئة كفارة أو فداء عن جميع الناس. فلا أحد يستطيع آن يقوم مقام الآخر سواء في مجال الخير أو الشر ، أو في عالم المعصية أو المبرة ، يقول الاسلام و المسلمون .
يقول القرآن المجيد في سورة العصر (رقمها 103):
"... و العصر ،
إن الانسان لفي خسر ،
إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات
و تواصوا بالحق و تواصوا باصبر ."
و قال في سورة البينة (رقمها 98) :
"... آن الذين آمنو و عملوا الصالحات
أولائك هم خير البرية
جزاءهم عند ربهم جنات عدن ،
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ،
رضي الله عنهم و رضوا عنه ،
ذلك لمن خشي ربه ."
(الآيتان 7 و 8)
أما في سورة البروج و تحمل الرقم المتسلسل 85 ، فيقول :
"... إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمينات ،
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
و لهم عذاب الحريق،
إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار
ذلك هو الفوز الكبير ،
آن بطش ربك لشديد .
و هو الغفور الودود ."
(الايات الكريمة 10 و 11 و 12)
المغفرة هي إذن نعمة و هدية من الله ، لا يحتاج الله لمنحها إلى عبد من عباده إلى أي مقابل أو ثمن أو أجرة .

و ختاما ننهي بحثنا بتلك الآية الكريمة من سورة الأحزاب التي رقمها المتسلسل 33 والتي تقول :
"... إن المسلمين و المسلمات
و المؤمنين و المؤمنات
و القانتين و القانتات
و الصادقين و الصادقات
و الصابرين و الصابرات
و الخاشعين و الخاشعات
والمتصدقين و المتصدقات
و الصائمين و الصائمات
و الحافظين فروجهم و الحافظات

و الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات
أعد الله لهم مغفرة و أجرا عظيما.
(الآية 35) 0